Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابتعادا غريبا عن حياتي القديمة») (ص 118). ويعني هذا أننا أصبحنا في السيرة الذاتية، ضمن حياة الطفولة وذاكرتها، أمام ماضيين ينسردان على نفس القدر من التذكر: الماضي الذي ولى في زمنه القريب، ماضي الحياة في مانشستر، والماضي اللاحق الذي يتشكل الآن في مكان جديد (المغرب). وفي ذلك إحساس بالغ يستشعره المؤلف، وهو يسترجع تجربة الحياة الفردية، للتعبير عن التناقض والانشطار اللذين أصبحا جزءا من تكوينه الذاتي. فالذات المتلفظة تحار في أمر هذا التكوين الغريب الذي جعلها تخترق مجتمعين ولغتين وثقافتين، على خلاف ذات الفقيه المبنية على الانسجام، مهما كانت طبيعة الاختلالات التي يمكن أن تعاني منها.

ومن الواضح، أن عودة الطفل إلى المغرب ستقترن، كما لو أنه ولد من جديد، بمرحلة تعلم جديدة، لها أنظمتها العامة من حيث التلقين والتكوين، امتص فيها، مع مرور الوقت، جملة من المعارف والسلوكات. وستستمر هذه المرحلة إلى نهاية السيرة الذاتية، أي إلى أن دخل الطفل مرحلة الشباب وهو في الثامنة عشرة من عمره. فلا يقرر بعدها إلا السفر إلى القاهرة عام 1937 (ص 136 وما بعدها)، ثم ينقفل النص على الصمت.

إن للسيرة الذاتية بناء خطيا تقطعه الحياة، أثناء الكتابة، عموديا وكرونولوجيا إلى منتهاه، أي إلى حيث ينحد بزمن التذكر والكتابة معا في الحاضر. ويخضع هذا البناء لمنطق سلم الزمن Echelle de temps الذي يرسم التواريخ والأحداث في تتابعها العام، اعتمادا على بداية مفترضة. وتستجيب الحياة الشخصية لبداية مفترضة قابلة للتحديد، كما في معظم السير الذاتية التي تحيل على تاريخ الميلاد، وقد لا تستجيب لها بشكل واضح ومحدد، ولكنها مع ذلك لا يمكن أن تتخطاها. غير أن هذا البناء السيرذاتي، بعد هذا، قد يختار، حسب الإمكانيات التي تتيحها الكتابة السردية، أشكالا مبتدعة ومتنوعة في رصد منحنيات التطور الذاتي، والتأمل في منعرجاته الحدثية. وبعبارة أخرى فإن العودة إلى الماضي لا تفترض بالضرورة منطقا معينا لسرد أطوار التجربة الشخصية، فقد تأتي على غير ما نتصور من حيث التقديم والتأخير. وعنايتنا، كقراء، تتجه نحو نمط التعبير من حيث التلفظ (صيغ التذويت)، وأشكال الخطاب المنتجة من حيث الدلالة (التأويل). وعلى خلاف البناء الروائي فإن السيرة الذاتية تنبني في إنجازها على المقصدية التي يتوخاها المؤلف، ولهذا غالبا ما يكون (الميثاق التلفظي) [1] عنصرا حاسما فيها.

---

1 - Maurice Couturier, La figure de l'auteur, coll. Poétique, Seuil 1995, Paris, p. 198.